(٣)
على شواطئ
النيل

obeikandl.com

قلنا أن الإنسان هدته الفطرة إلى وجود الله، وكان الفكر والفلسفة أداتين لتوسيع المدارك الإنسانية ولكن ماوراء الوجود نهتدى إليه بنور الله، كما أن العلم يرينا كم أن حجم الإنسان ضئيل فى هذا الوجود، وأنه يسكن ذرة هائمة وسط عوالم فسيحة لايمكن تصورها ولا بمقياس الخيال، وأن الأمن والأمان للإنسان فى الدين.

هل يمكن أن يعيش الإنسان بلا إيمان؟

قلنا إن الفلسفة والفكر لايمكنهما أن يقودا الإنسان إلى الشاطىء الآمن، وأن الفلسفات التى طبقت فى دنيا الناس لم ينجم عنها إلا تعاسة الفرد وتعاسة المجتمع.

الفلسفة الوجودية بأنانيتها وتمحورها حول الفرد.. وأن على الفرد أن يعيش حياته دون مراعاة للآخرين، لأن الآخرين هم الجحيم كما يقول أحد فلاسفتهم سارتر..!

وإذا كانت الوجودية قد انتشرت فى فرنسا وفى غيرها من دول الغرب، عقب الحرب العالمية الثانية وما فيها من ويلات جعلت البعض يرى أن الحياة تكمن فى الأنانية والفردية وحب الذات، واغتنام كل فرص لإثراء الذات.. فإن هذه الوجودية قد وئدت.. وذهب عصرها بعد أن انطفأ بريقها.. ولم يعد أحد يتحدث عنها إلا كمذهب فلسفى يدرس فى أقسام الفلسفة بالجامعة.

* * *

والشيوعية كان لها بريقها.. وألبسها فلاسفتها ثوب العلم، وقالوا إن حركة التاريخ تتجه صوب تحقيق ما تنادى به الماركسية، ولكن الماركسية التى اكتسحت روسيا وأقامت الاتحاد السوفيتى، وانتشرت فى الصين ودول الكتلة الشرقية لم تلبث أن انهارت، وسقط الاتحاد السوفيتى، وتزعزع كيانها فيما كان يسمى الكتلة الشرقية، وابتدأت الصين توائم بين النظرية وبين تطبيقها فى بلادها بما يتلاءم مع تراث الصين.

إن الشيوعية التى أنكرت (الله).. وتصورت أن الله (اختراع بشرى).. وأن الدين أفيون الشعوب، نسيت الشيوعية أن الذى هدم نظريتها، فانهارت هى خلوها من القيم الروحية.. فها هو (هوبز) أستاذ كارل ماركس يقول:

«إن الأشياء المادية وحدها هى المحسوسة بالنسبة لنا، فأنا لا أستطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله.. إن وجودى الخاص بى هو وحده الأمر المؤكد، أما ما عداه فخيال لا أصدقه!»

* * *

وكان ماركس يرى أن من أهداف الشيوعية هى القضاء على الدين والداعين إليه.

أما لينين فكان يقول:

«إن الدين هو أفيون الشعوب، وهو نوع من الخمر الروحية، يغرق فيها عبيد الرأسمالية صورتهم الإنسانية، والبحث عن الله لا فائدة فيه، ومن العبث البحث عن شيء لاوجود له، لابد من محاربة الدين.. هذا هو لب الماركسية وينبغى أن تعرف كيف تحارب الدين».

* * *

يكشف ستالين الذى أذاق الاتحاد السوفيتى أمرّ العذاب الديكتاتورى، وهو يحاول أن يلبس رؤيته ثوب العلم فيقول:

إن العالم يتطور تبعا لقوانين المادة، وهى ليست بحاجة إلى عقل كلى!

ولما كان الشرق الإسلامى متمسكا بالقيم الإسلامية، والإسلام يسود بقيمه وروحه وتقاليده، فقد كان قادة الشيوعيين يرون أن هذا الدين هو العقبة فى سبيل انتشار الشيوعية فيه، وأن الشيوعية لكى تغزو العالم الإسلامى عليها أن تقضى على الإسلام أولا، فقال مولوتوف.. أحد زعماء السوفيت فى إحدى خطبه:

«لن تنتشر الشيوعية فى الشرق الأوسط إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز، وإلا إذا قضينا على الإسلام».

* * *

لقد كنت أسأل نفسى، لماذا كل هذه الحملة المسعورة على الأديان بصفة عامة والإسلامية بصفة خاصة؟.. لماذا حاول الشيوعيون تحطيم كل الجسور التى تربط الإنسان بخالقه؟.

وهل يمكن أن يعيش الإنسان بلا إيمان؟ والإيمان فى الإسلام مبنى على العقل والنقل.. الإسلام يدعو الإنسان إلى تأمل هذا الكون الفسيح الذى لايعرف أبعاده سوى الله.. وأن الإنسان عندما اخترع التلسكوبات، وارتاد الفضاء فى محاولة لمعرفة أسرار هذا الكون، لم يعرف عنه سوى أن الأرض ما هى إلا زرة وسط هذا الفضاء الذى لايمكن تصور اتساعه بما فيه من ملايين المجرات والكواكب التى تسبح فى فضاء الله العريض وأن العقل عاجز تماما عن فهم أسرار هذا الكون، ولكن الإسلام يدعوه إلى التأمل والتفكير.. وأن وراء هذا الكون المعجز قوة لايمكن تصورها وتخيلها أبدعته.. وأبدعت قوانينه.. وأن كل شىء فى هذا الكون يشير إلى وجود الخالق الأعظم فلا يمكن لعاقل - حتى لو عجز العقل عن التصور الشامل للكون، أن ينكر أن وراء هذا التناسق، أو تلك القوانين ووحدة الخلق وجود الله فكيف يتسنى لتلك المذاهب أن تنكر ما هو موجود بالفطرة.

الإنسان منذ الأزل ينزع إلى العبادة.

مثل الطفل الذى ينزع إلى الرضاعة من ثدى أمه بلا تعلم..!

إنها الفطرة . . !

فكيف ننكر هذه الفطرة؟ .

* * *

لقد تعلم الإنسان وعرف الإيمان منذ آدم عليه السلام، ولكن عندما طال الأمد بالناس، ونسوا رحيق ما جاء به رسل الله، عبدوا الأصنام، أو الكواكب، أو حتى الفراعنة . . وهم حتى فى ضلالهم ينزعون إلى العبادة .

فالذين عبدوا الأصنام تذرعوا كما يقول القرآن الكريم بأنهم لم يعبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى .

ولعل أديب روسيا الكبير تولستوى، قد عبر عن هذه الفطرة التى فُطرّ عليها الإنسان، بأهمية عبادة الله . . وأنه لامعنى للوجود بلا خالق . . ولامعنى للحياة إلا بالإيمان بهذا الخالق العظيم . . لأن هذا الإيمان لاينكره القلب . . ولا العقل . .

يقول تولستوى :

«لقد نبذت تلك العقائد الدينية فى أول الأمر، ووجدتها عديمة المعنى، ثم قبلتها الآن، وألفيتها مليئة بالمعانى، ذلك لأنى كنت مخطئا، وأدركت سبب الخطأ، وهذا السبب ليس ناشئا عن تفكيرى السيىء فحسب، بل لأننى عشت فى بيئة سيئة، وذلك أشد السببين خطأ . ويقول تولستوى أيضا :

«ما الحياة وما الموت؟

إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله، ولولا أننى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد؟!»

ويتابع قوله:

«إننى أحيا - وأحيا حقيقة - حينما أحس به وأبحث عنه فقط، ويصيح من داخلى صوت يقول:

عن أى شىء تبحث بعد هذا..؟ هذا هو.. إنه ذلك الذى لا يستطيع المرء بدونه أن يعيش، إنه الله.

وعندما اعتقدت فى وجود الله، اعتقدت فى الكمال الخلقى، وفى التقاليد التى تحمل معنى الحياة».

* * *

هذا ما قاله أديب ومفكر من أكبر أدباء العالم، نشأ فى روسيا، وتبرع ببعض ممتلكاته للمحتاجين، ولم يكن يدرى أنه ستقوم ثورة شيوعية فى بلاده تحطم كل القيم الروحية، وتحارب الأديان، وتزرع الفساد والدمار والخراب.. وأن هذه الثورة أيضا سوف تنهار، بل انهارت بالفعل.. وعاد الناس يفتحون قلوبهم للإيمان، ويرون فيه الأمن والأمان، وراحة النفس عندما تشتد الأزمات، أو تحل بالإنسان الكوارث، أو يلم به المرض، فيطلب العون من الله، ويعود لنفسه الأمل والأمان.

* * *

وهذا هو شاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور، ينفذ بوجدانه إلى نور الله.. ويعبر عن أحاسيسه تجاه عظمة الخالق.. نور كل شيء بهذه الترنيمة الجميلة:

هو ذا الحائط الكبير ينشق، ونورك الساطع يا إلهى، نورك الشبيه بضحكة مشرقة ومجلجلة، يتدفق من الحائط فجأة ويغمر الدنيا.

إن قلب الليل نفسه قد اخترقه نورك العظيم، وأنت بسيف نورك الباتر تخترق حجب الشكوك وتقطع المخاوف والأوهام.

أسرع.. أسرع إلى أيها الرائع المروع فى بياضك الناصع الذى لم يشبه أى دنس.

إن طبول نورك تدق أغنية من لهب، وشعلة نورك ترتفع فى الفضاء كراية تهتف بفرح الحياة، والموت تجاه نورك ينهار ويحتضر فى تفجر يملأ دويه قلب العالم!

إلا أن هذا النور لهو انتصار الفرح.. فرح الإنسان بخلاصه من ذله، وخلاصه من رجسه، وخلاصه من نفسه، وعودته طاهرا نقيا إليك.

ولنفس الشاعر ترنيمة جميلة، يعبر عنها بحس صوفى جميل عن (الحبيب الأعظم).. والحبيب الأعظم هو الله يقول الشاعر الهندى الكبير:

- الشتاء الليلة يحمل نسمات الربيع . . والهواء يرف حولى كأنه يتماوج على شراع من حرير، والأغصان تتهامس، والريح تغمغم، والصمت يشبه آنية كبيرة يتساقط فيها الحلم كالرحيق.

ما أسعدنى بهذا الحلم وإن كان مبهم الصورة فى خاطرى . . فى أى شىء أحلم، وفى أى شىء أفكر، لا أدرى! أنا سابح فى فتور حواسى، ممعن فى تنشق النسمات جهدى، مستغرق فى السهوم والشرود كأنى روح حائر تطوف به أشباح.

نعم . أدركت.

فهمت السر . .

لقد تخلصت من عقلى . .

وتحررت من بدنى . .

وتجردت من ماديتى.

وانطلقت على أجنحة هذا الحلم المبهم الغامض أبحث بالرغم منى، وفى نشوة شرودى وسهومى وفراغ نفسى، عن ذلك الحبيب الأبدى المطلق العظيم . . الذى هو أنت يا ربى؟

* * *

الله هو الحق والحقيقة . .

الله هو نور السماوات والأرض.

الله هو الخير المطلق.. والجمال المطلق.. والعدالة المطلقة.. الله قيوم السماوات والأرض.

الله هو الأول بلا بداية.. والآخر بلا نهاية سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى.. وهذه الأسماء هى صفاته جل علاه.. لاشبيه له ولا نظير.. ولايمكن تصوره لأنه فوق الزمان والمكان.. ونحن ندرك الأشياء من خلال الزمان والمكان.. فهو الإدراك، ولكنه مع ذلك قريب.. أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.. يعرف كل ما يدور فى كونه..

حتى ما يسر به الإنسان بينه وبين نفسه.. يعلم حركة الكواكب والنجوم إلى أصغر حركات الذرات والالكترونات.. يعلم ما يجرى فى أعماق البحار والمحيطات والأنهار، وكل شىء فى هذا الوجود.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨].

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

هذا هو الله كما يقربه إلى أذهاننا القرآن الكريم.. رب قادر مقتدر.. يعرف أسرار كل شيء.. وهو مع ذلك بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووسعت رحمته كل شيء.

هنا نقترب من شواطىء الإيمان.

فاجتهادات المفكرين والأدباء والشعراء والفلاسفة فى الوجود، إنما تخضع لعقل محدود، وإدراك محدود، وفهم للوجود محدود.

ولايمكن للعقل البشرى أن يفسر ما غاب عن الإنسان فى مسائل ما وراء الوجود ولايمكن للعلم وحده أن يفسر لنا العالم ووجود الإنسان والمغزى من هذا الوجود ولايستطيع أن يبرر لنا المصير الإنسانى ولايستطيع تفسيره.

إذن فالمرفأ الآمن هو مرفأ الإيمان.

وقاعدة الانطلاق لفهم أنفسنا ودورنا فى الحياة، ومصيرنا بعد الحياة، يأتى من خلال ما جاء به الوحى على لسان الرسل والأنبياء.. إن ما جاء به الإسلام، وهو خاتم الرسالات السماوية يعطى للإنسان خريطة واضحة المعالم والقسمات عن معنى وجوده.. ويرسم طريقه للحياة فى هذا الوجود، كما يوضح له الجسور التى يجب عليه أن يعبرها حتى ينال سعادة الدنيا والآخرة.. ولخصها فى كلمتين:

الحلال.. وهو ما أمر الله به أن نفعله.

والحرام.. وهو ما نهانا الله أن نقترب منه.

ولأننا بشر نخطىء ونصيب، فإن باب المغفرة مفتوح أمام أى إنسان ليعيد الصلح مع نفسه ومع خالقه إن الإنسان كثيرا ما يشده التراب الذى خلق منه إلى الأرض، ولكن الروح التى هى نفحة ربانية تجذبه وترفعه إلى السماء.

وفى رحاب الدين.. عندما يستقر الإيمان فى القلب والوجدان، يجعل للحياة معنى وهدفا.. ويصبح لوجوده قيمة، ويشعر الإنسان أنه يعيش دنياه، ولكنه فى هذه الدنيا كغريب استظل بظل شجرة وتركها كما قال أعظم رسل السماء محمد عليه الصلاة والسلام.

* * *

وكل الرسالات السماوية جاءت من مصدر واحد.. من نبع واحد.. وكان الإسلام هو الدين الخاتم الذى جمع بين العقيدة والشريعة.. فقد رسم للناس كيف تكون عقيدة التوحيد، كما جاء بالشريعة ليكون الناس على بينة من أمر دينهم ودنياهم.

يعملون فى دنياهم ويستمتعون بها فى حدود ما أحله الله كأنه يعيش أبدا.. ويعملون لأخراهم بمنهج الله كأنهم سيموتون غدا.

وجاء الإسلام وبه ثوابت ومتغيرات.. الثوابت هى أركان الدين، والمتغيرات هى التى يجتهد فيها المجتهدون حتى تصبح التشريعات صالحة لكل زمان ومكان، ولاتصبح قوالب جامدة متحجرة توقف حركة التقدم والحضارة والحياة..

* * *

وإذا كنا لانعرف شيئا بعقولنا أو أحاسيسنا إلى ما وراء الحس. . إلى ما وراء الوجود، فقد أرسل الله رسله وأنبياءه. . سلاحهم ما جاءوا به من العلم عن طريق الوحى.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ويرى الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق وهو يتحدث عن الوحى فى القرآن، أنه ورد ذكر هذه المادة فى سبعين آية من القرآن، منها أربع وستون آية مكية، وست آيات مدنيات وأكثر ما ورد فى الآيات القرآنية إنما هو الفعل ماضيا أو مضارعا أما (كلمة الوحى) فجاءت ست مرات فى سور كلها مكية.

وعن كلمة الوحى فى القرآن يقول:

وأما لفظ (الوحى) فقد ورد فى القرآن ست مرات هو فيها كلها من الله تعالى، والموحى إليه فيها جميعها من الأنبياء وهذا هو إيحاء الله إلى أنبيائه ورسله، أى إلقاؤه إليهم ما يريد أن يعلموه من المعارف الدينية.

وعبر القرآن عن هذا المعنى بالتنزيل، فجعل القرآن وحيا وجعله تنزيلا كما قال:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

وقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

وقال: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

وعبر عنه أيضا بالكلام فى قوله:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١].

حيث جعل الوحى نوعا من كلامه وقسما من أقسامه، ففرق بين تكليم الوحى والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب.

لكن فى السورة الرابعة (سورة النساء مدنية) ما يدل على أن التكليم غير الوحى وقسيم له، وذلك لقوله عز وجل ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

فذكر فى أول الآية وحيه إلى ونوح والنبيين من بعده، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه، وهذا يدل على أن التكليم الذى

حصل له أخص من مطلق الوحى الذى ذكر فى أول الآية، ثم أكد بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز.

قال الفراء: العرب تسمى ما يوصل إلى الإنسان كلاما بأى طريق وصل، ولكن لاتحققه بالمصدر، فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام.

ويذهب ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين إلى أنه يمكن جعل الوحى قسما من أقسام التكليم وجعله قسيما للتكليم باعتبارين فإن قسيم التكليم الخاص الذى يكون من الله لعبده بلا واسطة بل منه وإليه، وقسم من التكليم العام الذى هو إيصال المعنى بطرق متعددة.

وعلى هذا فالوحى قسم من كلام الله العام جاءت به آية الشورى، وهى الآية التى جعلت كلام الله لعباده على ثلاثة أنحاء لايجاوزها.

وقد ذكر المفسرون فى تأويل هذه الآية أنه ما صح لأحد من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا على أحد ثلاثة أوجه: إما على الوحى، وهو الإلهام والقذف فى القلب أو المنام، وإما على أن يسمعه كلامه ولايراه من غير واسطة مبلغ كما كلم نبيه موسى عليه السلام، وإما على أن يرسل الله من ملائكته رسولا، جبريل أو غيره، فيبلغ ذلك الملك إلى المرسل إليه البشرى ما يشاء الله من أمر ونهى وغير ذلك!

* * *

وخلاصة ما قاله المفسرون إن الله يوحى إلى رسله ما يشاء ويشرح لنا ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله:

«إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب».

وتروى كتب السيرة أن الوحى كان يأتى بصور كثيرة.. يأتى على شكل بشر، ويأتى من خلال الرؤيا الصالحة، وأحيانا يأتى مثل صلصلة الجرس فينفصل عن الرسول وقد وعى عنه ما قال.

* * *

جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة الخالدة.. رسالة تؤمن بكل الأنبياء والمرسلين السابقين كإيماننا بالنبى الخاتم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

جاءت الرسالة الخالدة.. بمنهجها وعقائدها وشريعتها لتجعل الإنسان يحس الأمن والأمان.. ويحس بالتوازن الداخلى.. فى ظل مجتمع يتنسم نسائم الحب والمودة والعدل والتقوى.. ويراعى

المصلحة.. مصلحة (الأنا).. ومصلحة (الآخر).. ليعيش الجميع يحكمهم دستور سماوى رائع.. جاء من عند الله الذى يعرف ما يصلح النفس الإنسانية.. لتعيش الحياة.. وتعمل من أجل العالم الآخر.. بعد أن ينتهى العمر.. وتبدأ رحلة الإنسان إلى العالم الخالد.. هذا العالم الآخر حيث الثواب والعقاب.. وحيث النعيم أو الجحيم.. وحيث يوضع الميزان.. ويرتفع لواء العدل.. وحيث نرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

وفى واحة الإيمان تسمو المشاعر وترق.. وترتفع الروح إلى آفاق عليا.. وكلما اقترب الإنسان من ربه بما فرض عليه من فرائض.. شعر بسعادة الإيمان.. وانتابته أحاسيس بقيم الإسلام الرفيعة.. فها هو رسولنا العظيم فى أخريات أيامه فى الدنيا يحدث الصحابة عن العالم الآخر الذى ينتظرنا عندما نخلص من دنيانا.. فقد قال لهم:

«إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة..

فيقولون: لبيك ربنا وسعديك

فيقول هل رضيتم؟

فيقولون: وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟

فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك؟

فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك؟

فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا».

واستشعر المؤمنون بالسعادة التى أعدت للمؤمنين فى قول رسولهم عليه الصلاة والسلام:

«إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الفاير من أفق السماء من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهُم.

قالوا: يارسول الله منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم؟

قال: بلى، والذى نفسى بيده.. رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

أى إن المؤمنين الصالحين يرافقون الرسل غرفهم العالية.

وكما بشر المؤمنين الصالحين بالجنة، حذر الأشرار من العذاب وكان يقول:

«عرضت علىَّ الجنة والنار آنفا فى عُرْض هذا الحائط، فلم أر كالخير والشر».

و .. ما أعظم الإبحار فى عالم الأسرار والحب والجمال.. عالم الدين.. ولنتوقف قليلا لنطوف حدائق الإيمان.

* * *